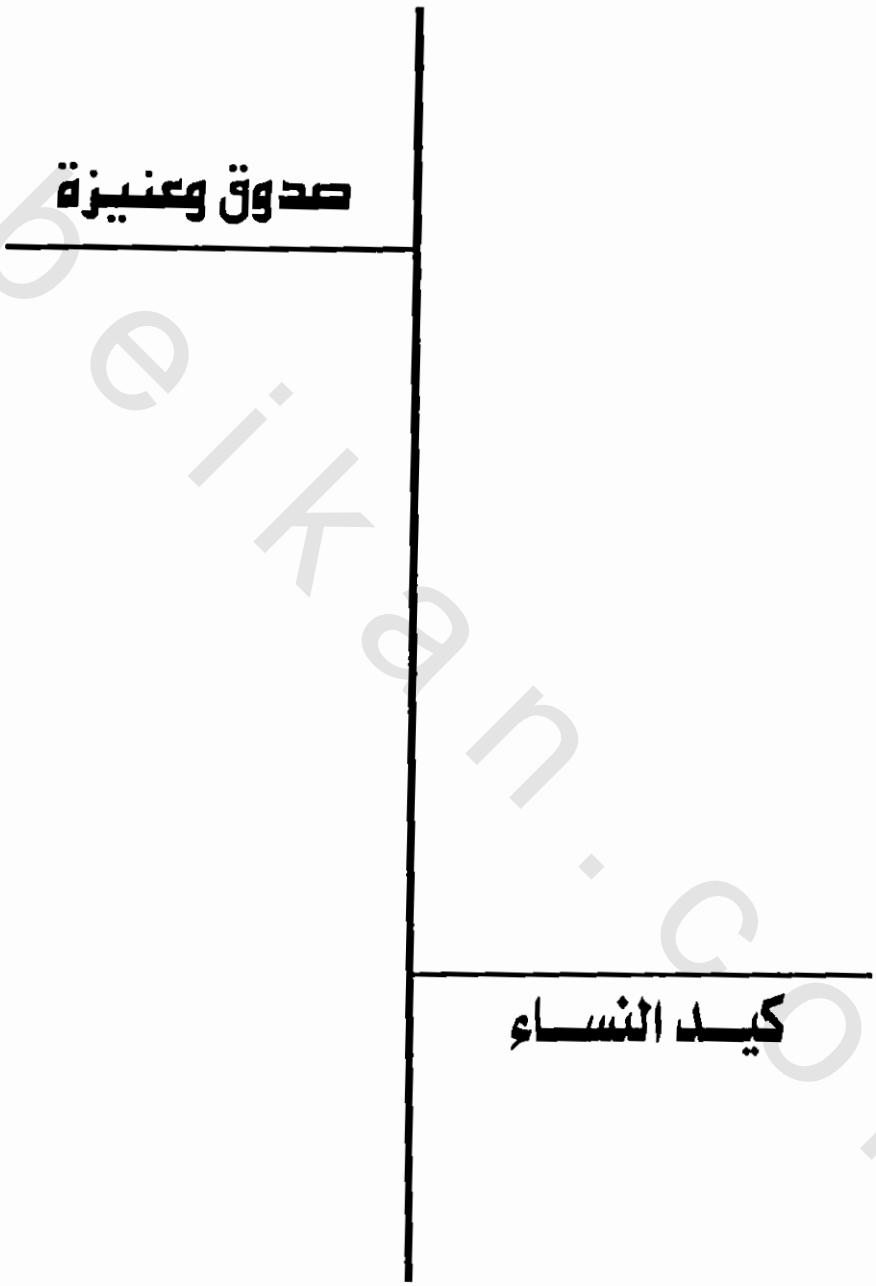

obeikan.com

-

obeikan.com

صدوق وعنيزة

أرسل الله نبيه صالحا عليه السلام ليدعوهم إلى عبادته ، فكان يبالغ في ذلك فيدخل إليهم في منازلهم ويقتحم عليهم مجالسهم يدعوهم إلى توحيد الله الواحد الديان ، فكانوا يقولون له "أرنا آية تدل على صدقك" فيقول لهم: "إن أرأيتكم آية ولم تؤمنوا نزل بكم العذاب" لكنهم أصروا على رأيهم ظنا منهم أنه سيعجز عن تلبية طلبهم وقالوا له "إن آية بيننا وبينك أن تدعو ربك يخرج لنا من هذه الصخرة ناقة من الإبل غراء سواداء ذات عرف وناصية وشعر ووبر عشراء (أى مضى لحملها عشرة أشهر أو هي كالنفساء من النساء) متوَّجة . فإن فعلت ذلك آمنا بك وصدقناك واتبعناك ، وإن عجزت عن ذلك فاكفف عنا قولك فإنا نكره أذاك وشتمك آلهتنا وكنت مرجوا قبل ذلك وأنت في فنائنا وعزنا وحسبنا".

فأوحى الله تعالى إليه أن "أعط القوم ما طلبوا وما سألوك ولو أنى أحببت أن يكون ذلك من دعائك لأخرجتها أسرع من طرفة عين ليعلموا أنى على كل شيء قدير" . قال: فأقبل صالح على قومه وقال: "إن الله تعالى وعدنى إلى حاجتى؟ ويخرج لكم الناقة وتبيعها على ما تقولون ، فإن أخرجها لكم أفتؤمنون به؟" قالوا بشرط أن يكون لبنها ألذ من الزبد وأحلى من العسل" ، فقال صالح عليه السلام "إن أخرجها لكم كذلك أفتؤمنون به؟

قالوا: بشرط أن يكون لبنها في الصيف باردا ، وفى الشتاء حارا ، ولا يشربه مريض إلى برئ من مرضه ، ولا فقير إلا استغنى .

فقال صالح عليه السلام: إن أخرجها لكم أفتؤمنون به؟

قالوا: نعم ، بشرط أن تدخل بالعشيات في بيوتنا ، وتسمى كل واحد منا باسمه وتنادى: ألا من أراد اللبن فليخرج ، فنحلب ما نريده

تحت ضرعها يمتلئ الإناء لبنا من غير احتلاب منا" .

فقال صالح: قد شرطتم علىّ شرائط كثيرة وإنى أيضا أشرط عليكم ، ألا يركبها أحد منكم ولا يرميها بحجر ولا سهم ولا يمنعها من شربها ولا من فصيلها من ذلك" فقالوا لك هذا كله يا صالح .

قال: فأخذ صالح عليهم العهود والمواثيق على هذا جميعه ، ثم قام صالح عليه السلام ، فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه إلى السماء فلم تزل أقدام القوام في مواضعها حتى اضطربت الصخرة وتمخضت وتفجرت من أصلها بماء معين حتى امتلأ الوادى وجعلت تئن كما تئن المرأة الحامل عند الولادة والناقة تدور في جوانب الصخرة كالوليد في بطن أمه ثم خرج رأس الناقة ثم تكاملت بقدرة الله تعالى وهم ينظرون .

كانت الناقة تسير في السهل ، فترعى الكلأ ، فتهرب منها المواشى حتى أخذ ذلك بهم وأخذ بمواشيهم البلاء الذي كتبه الله عليهم .

كان من قوم صالح امرأتان على درجة كبيرة من الجمال ، وكان لهما شياه وأبقار وأغنام كثيرة - إحداهما "صدوق" والأخرى "عنيزة" وكانتا من أشد الناس كفرا وكراهية لصالح ، وقد أصابهما ما أصاب الناس من الضر ، فازدادا كراهية لصالح عليه السلام ، وكانت تحرضان الناس على عقر الناقة لما أخذت بمواشيهم وهروبهم من الناقة إلى الجبال وترك السهل لها .

وكانت المرأتان يعشقانهما رجلان من قومهما هما "قدار بن سالف" و "مصدع" زارهما العاشقان ذات يوم فأخذتا تتدللان عليهما .

قالت صدوق: لو كان لنا مزاج لأسقيناكما خمرا ولكن هذا يوم ورود الناقة فلا سبيل لنا .

وقالت عنيزة: "والله إن لنا إلى الماء سبيلا واسعا إن كانت رجالنا

رجالا ، وهل هذه الناقة إلا ناقة من الإبل تطرد ويضرب وجهها عنا كما تضرب الإبل وتطرد؟ ولكن لا رجال لنا في الوادى .

وأكل "قدار" الطعم وسخنت رأسه فرد عليها قائلا:

– فماذا عليك يا صدوق إن أنا فعلت ما قالت عنيزة فكفيتك الناقة اليوم وشربها وخلا لك الشرب فوردت مواشيك ورويت وأصبت من الماء حاجتك؟

فقالت: لك إذا نفسى وما طلبت منى .

وكشفت عن وجهها لتبدى لها لينها وإمكانية نيله منها وأسرة جمالها الأخاذ ، فلما رأى "مصدع" ذلك وسمع قولها طمع هو الآخر وسأل صاحبته أن يشارك "قدار" في نفس العمل وينال هو أيضا صاحبته فسألها:

– ومالى عليك يا عنيزة إن شاركت قدار في ما قال فشاركت صاحبتك في الماء؟

فقالت: لك نفسى أيضا .

وكشفت هي الأخرى عن وجهها لتطمعه فيها ثم قالت:

– اختر ما شئت منا .

وقضيا ليلتهما في خمر وفسق وفجور ثم خرج الرجلان وجمعا سبعة من أصدقائهما من سفهاء القوم ثم انطلقوا تسعتهم بسيوفهم وسهامهم فنحروها بعد صراع طويل معها ثم هربوا .

تبادر القوم إلى الناقة المذبوحة فانتشلوا لحمها وقسموه عليهم وطبخوه وعلم صالح الذي لم يكن موجودا بالأمر:

– هل علمت أن ناقة ربط قد عقرت وتقسمت وعلى لحمها في المراحل؟

فخرج نحوها سريعا في عصبة من قومه فوجد ما قيل له صدقا فأوعدهم العذاب من الله فسبوه ، فقال لمن معه وهو في غضب شديد:

- التمسوا الفصيل فإن أنتم وجدتموه وإلا فاعلموا أن العذاب نازل عليكم .

فانطلقوا يطلبون الفصيل في الجبل فلما أرادوا أن يصعدوه ازداد الجبل طوبلا في السماء فلم يقدروا على الصعود ، فلما رأوا ذلك أيقنوا أن العذاب سوف يحل بهم ، فقال لهم صالح عليه السلام:

- تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، وذلك مساء يوم الأربعاء ثم أكمل:

- وآية ذلك أن تصبحوا غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد محمرة وفى اليوم الثالث مسودة ، ثم ينزل بكم العذاب . فلما سمعوا ذلك تآمر قتلة الناقة لقتله فلما بلغوا داره لقيتهم الملائكة .

- ما تريدون؟

- قالوا: نريد أن نقتل صالحا وثمانية من قومه بمن قتل منا .

- قالوا: لا تعجلوا حتى تستدبروا الموعد الذي وعدكم ربكم فإن كان وعد ربكم حقا علا غضبكم . . وإن كان ما وعدكم به باطلا فأنتم وراء أموركم فافعلوا" فانصرفوا وتركوهم فأصبحوا يوم الخميس وجوههم مصفرة ثم أصبحوا يوم الجمعة وجوههم محمرة ثم أصبحت يوم السبت مسودة .

أنزل الله بهم العذاب بذنوبهم فلم يبق منهم أحد إلا جارية مقعدة كانت شديدة الكراهية لصالح عليه السلام ومن آمن معه ، أطلق الله لها ساقيها حتى تخبر الناس بما رأت ليعتبر الناس وهلك القوم بسبب كيد هاتين المرأتين .

* * *